سلسلة قطاف الكتب
(٥)

فوائد منتقاة من كتاب

تاريخ بغداد

للخطيب البغدادي

انتقاها

د. صالح راضي الشمري



دار الظاهرية

فوائد منتقاة من كتاب

تاريخ بغداد

© فهرسة دار الظاهرية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

الشمري، صالح راضي

فوائد منتقاة من كتاب تاريخ بغداد

١٠٠ ص، ١٤× ٢٠سم

رقم الإيداع: ٠٥٢١ - ٢٠٢٠

ردمك: ٧ - ٣١ - ٧١٨ - ٩٩٢١ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م

الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة- مجمع كابيتول مول- السرداب- محل ٢٤

Website : www .daradahriah .com - E-mail : daradahriah@gmail .com

(+965) 99627333 - (+965) 51155398

الموزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع
(الكويت)
darandalusia@hotmail.com
(+965) 94747176

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 114925192

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع
(جدة)
hassan_hyge@hotmail.com
(+966) 504395716

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
(مكة المكرمة)
alasadi2000@hotmail.com
(+966) 125273037

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(مصر الجديدة)
mofakroun@gmail.com
(+2) 01110117447

سلسلة قطاف الكتب

(٥)

فوائد منتقاة من كتاب

تاريخ بغداد

للخطيب البغدادي

ج ١٤

انتقاها

د. صالح راضي الشمري

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدمة سلسلة قطاف الكتب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يمر القراء أثناء قراءتهم للكتب على نوادر من الأقوال والأشعار والأفكار والقصص والأخبار، تستهويهم وتعجبهم، فيتفنّنون في حفظها والإفادة منها؛ فمنهم من يضع إشارة على الكتاب، ومنهم من يخصص صفحة آخر الكتاب يُثبِت فيها تلك المختارات، ومنهم من ينقلها إلى بطاقات منفصلة، وقد يضمها إلى فهرس خاص به، يسجّل فيه ما مرّ عليه أثناء تلك الأسفار على أوراق الأسفار.

وقد يتطور الأمر بهذه الفوائد فتخرج للقراء في كتاب يجمعها؛ كناشة، أو كشكول، أو مخلاة، أو فوائد منتقاة، مرتبة حسب موضوعها المشترك أحيانا، ومتفرقة حيثما اتفق أحيانا أخرى. وفي عالم الكتب أمثلة مشهورة لكل ذلك في القديم والحديث.

وإذا كان السابقون قد مهّدوا هذا الطريق فإن السير فيه والنهج عليه في هذا الزمن آكد، إذ المعلومة الحاضرة فيه أحب للناس من التنقيب، وضيق الزمان وضعف الإقبال على المعرفة شائع، وقلّة الصبر على القراءة المتنوعة بيّن.

ويزداد هذا التعليل تأكيدا في الكتب الكبيرة ذات المجلدات، أو الكتب المختصّة بالتراجم المرصّعة بالدرر الخافية، أو في دواوين الشعر لمن ضعفت بضاعته في اللغة ويريد أبياتا أو قصائد لمعنى محدد، أو للاستشهاد بها، وهذا مطلب فاضل ولا شك، لكن بعضنا يريده «جاهزا» بلغة العصر.

وهذه السلسلة دارجة في هذا السلك، لكنها تقدّم مادتها في كتاب بعينه، ولم يلتزم فيها صاحبها إيراد كل رائق في الكتاب؛ إما لتكرره في قراءة سابقة، وإما لأن ذائقته لم تر فيه ما رآه غيره، أو لشرود ذهن وانشغال بفكرة أخرى أيام قراءة الكتاب، وللسنِّ دور لا ينكر، وللاهتمام الشخصي والرصيد المعرفي أثر.

ولما اطلع على هذه الفوائد بعض الإخوة ممن يشجّع على القراءة واقتناص الفوائد من بطون الكتب نصح بطبعها كما هي دون تغيير أو تعديل أو تأخير؛ علّها تكون من الخير النافع المفيد، فيستفيد منها مربٍّ في قاعة درسه، أو محاضر في محاضرته، أو يرصّع بها خطيب خطبته، أو تقدح في ذهن قارئها فكرة جديدة، فتكون هذه المختارات قد دلّت على خير، وساهمت في رفع الذائقة، وربطت الآخر بالأول.

ولعلها كذلك تشجع من أدراج مكتباتهم ملأى بالفوائد المكنوزة والنوادر الرائقة أن يخرجوها من ظلام سجونها لتبثّ شجونها. فإن احتج محتج واعترض معترض بأن سوق الكتاب بائر، وأن تكاليف الطباعة وتبعاتها معيقة، سلّمنا له، ولم نجادل، ودللناه على النشر في الفضاء الالكتروني، فالماء يجد المخرج.

أسأل الله تعالى أن لا يُخلي قارئها من فائدة، وأن يكتبها في العلم النافع، وأن يجزي أهلا زرعوا فينا حب القراءة، وإخوانا حببوا إلينا طريق العلم خير الجزاء، وهو ولي التوفيق.

د. صالح راضي الشمري

الجهراء العامرة – كويت الخير

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب: تاريخ بغداد- الجزء ١٤.

اسم المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي.

الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبعة: لا يوجد بيان.

السنة: لا يوجد بيان.

الصفحات: ٤٧٢.

في ترجمة: هارون أمير المؤمنين، الرشيد بن محمد المهدي.

كراهية الجدل في الدين

كان يكره المراء في الدين والجدال، ويقول: إنه لخليق أن لا ينتج خيرا.

ص٧

توقير العلماء

قال علي بن المديني: سمعت أبا معاوية [الضرير] يقول: أكلت مع هارون الرشيد أمير المؤمنين طعاما يوما من الأيام، فصبَّ على يدي رجل لا أعرفه، فقال هارون الرشيد: يا أبا معاوية، تدري من يصب على يديك؟

قلت لا!

قال: أنا.

قلت: أنت يا أمير المؤمنين؟

قال نعم إجلالا للعلم.

ص٨

أدب التعامل مع الأعيان

عن الأصمعي قال: دخلت على هارون الرشيد ومجلسه حافل، فقال: يا أصمعي ما أغفلك عنا، وأجفاك لحضرتنا!

قلت والله يا أمير المؤمنين، ما ألاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك.

قال فأمرني بالجلوس، فجلست وسكت عني، فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام، فأشار إلي أن اجلس، فجلست حتى خلا المجلس، فلم يبق غيري وغيره ومَن بين يديه من الغلمان.

فقال لي يا أبا سعيد، ما ألاقتني؟

قلت: أمسكتني يا أمير المؤمنين، وأنشدت:

كفَّاك كـــفٌّ ما تُليـــق درهما

جودا، وأخرى تعط بالسيف الدما

فقال: أحسنت، وهكذا فكن، وقِّرنا في الملأ، وعلِّمنا في الخلاء، وأمر لي بخمسة آلاف دينار.

ص٩

فـي ترجمة: هارون أمير المؤمنيـن، الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد.

الصبر على تحول الزمان

قال الشاعر:

هي المقادير تجـــري في أعنتها

وأصبر فليــــس لها صبر على حال

ص١٨

الموت لا يفرق بين صغير ولا كبير

لما احتضر الواثق جعل يردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشـــترك

لا ســـوقة بينهم يبقى ولا ملك

ما ضر أهل قليل فـــي تنافرهم

وليس يغني عـــن الأملاك ملكوا

ص١٩

تغير الأحوال وتقلب الدنيا

حدث أبو أحمد بن محمد أمير البصرة قال حدثني أبي. قال: كنت أحد من مرَّض الواثق في علته التي مات فيها، فكنت قائما بين يدي الواثق أنا وجماعة من الأولياء والموالي والخدم، إذ لحقته غشية، فما شككنا أنه قد مات. فقال بعضنا لبعض: تقدَّموا فاعرِفوا خبره، فما جسر أحد منهم يتقدم، فتقدمت أنا.

فلما صرت عند رأسه وأردت أن أضع يدي على أنفه أعتَبِر نفَسَه، لحقته إفاقة، ففتح عينيه، فكدت أن أموت فزعا من أن يراني قد مشيت في مجلسه إلى غير رتبتي، فتراجعت إلى خلف، وتعلَّقت قبيعة سيفي بعتبة المجلس وعثرت به، فاتكأت عليه فاندق سيفي وكاد أن يدخل في لحمي ويجرحني، فسلمت وخرجت، فاستدعيت سيفا ومنطقة أخرى، فلبستها وجئت حتى وقفت في مرتبتي ساعة.

فتلف الواثق تلفا لم يشك جماعتنا فيه، فتقدَّمت فشددت لحييه، وغمضته، وسجيته، ووجهته إلى القبلة، وجاء الفراشون فأخذوا ما تحته في المجلس ليردّوه إلى الخزائن، لأن جميعه مثبت عليهم، وتُرك وحده في البيت.

وقال لي ابن أبي دؤاد القاضي: إنا نريد أن نتشاغل بعقد البيعة، ولابد أن يكون أحدنا يحفظ الميت إلى أن يدفن، فأحب أن تكون أنت

ذلك الرجل، وقد كنتُ من أخصِّهم به في حياته، وذلك أنه اصطنعني واختصني حتى لقبني الواثقي، باسمه، فحزنت عليه حزنا شديدا، فقلت: دعوني وامضوا.

فرددت باب المجلس وجلست في الصحن عند الباب أحفظه، وكان المجلس في بستان عظيم أجربة. وهو بين بستانين، فحسست بعد ساعة في البيت بحركة أفزعتني، فدخلت أنظر ما هي؟ فإذا بجرذون من دواب البستان قد جاء حتى استل عين الواثق فأكلها، فقلت: لا إله إلا الله، العين التي فتحها منذ ساعة فاندق سيفي هيبة لها صارت طُعمة لدابة ضعيفة! قال وجاءوا فغسلوه بعد ساعة، فسألني ابن أبي دؤاد عن سبب عينه فأخبرته.

ص ١٩، ٢٠

في ترجمة: هارون بن عبدالله الحمال، وكان ثقة حافظا عارفا.

التواضع من أدب المعلم، والحرص على النصح، والإشفاق على الإخوان

قال هارون بن عبدالله الحمال: جاءني أحمد بن حنبل بالليل فدق الباب عليَّ، فقلت: من هذا؟

فقال: أنا أحمد.

فبادرت أن خرجت إليه فمسَّاني ومسَّيته، قلت: حاجة يا أبا عبدالله؟

قال: شغلت اليوم قلبي.

قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟

قال: جُزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى. إذا قعدت فاقعد مع الناس.

ص٢٢

في ترجمة: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام.

صدق

قال أمير المؤمنين المنصور لهشام بن عروة حين دخل عليه هشام: يا أبا المنذر تذكر يوم دخلت عليك أنا وإخوتي الخلائف، وأنت تشرب سويقا بقصبة يراع، فلما خرجنا من عندك قال لنا أبونا: اعرفوا لهذا الشيخ حقه، فإنه لا يزال في قومكم بقية ما بقي؟ قال: **لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين**. فلما خرج هشام قيل له: يذكِّرك أمير المؤمنين ما تَمُتُّ به إليه، فتقول: لا أذكره؟ فقال لم أكن أذكر ذلك. ولم يعوِّدني الله في الصدق إلا خيرا.

ص٣٩

في ترجمة: الهيثم بن خالد الكندي.

أمانة حمل المسؤولية وخطر تضييعها

عن الحسن في تفسير هذه الآية ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فقال الحسن: إن أقواما غدوا في المطارف العتاق، والعمائم الرقاق، يطلبون الإمارات يتعرضون للبلاء، وهم منه في عافية، حتى إذا أصابوها خافوا مَن فوقهم من أهل العقد، وظلموا بها من تحتهم من أهل العهد، هزَّلوا بها دينهم، وسمَّنوا بها براذينهم؛ ووسَّعوا بها دورهم، وضيَّقوا بها قبورهم، ألم ترهم قد جدَّدوا الثياب، وأخلقوا الدين؟ يتكئ أحدهم على يمينه فيأكل من غير طعامه، طعامه غصب، وخَدَمُه سخرة، يدعو بحلو بعد حامض، ورطب بعد يابس، حتى إذا أخذته الكظة تجشأ من البشم. ثم قال: يا جارية هاتي خاطوما هاتي ما يهضم الطعام. يا أحمق لا والله! إن يُهضم إلا دينك، أين جارك، أين يتيمك، أين مسكينك، أين ما اوصى الله به؟

الخاطوم: مهضِّم.

ص٦٢

في ترجمة: هاشم بن القاسم (أبي النضر).

السعي في حوائج الناس

كان أحمد بن حنبل يقول: أبو النضر شيخنا، من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

جاء في ترجمته: أن رجلا جاء إلى أبي النضر فسأله أن يكلم له عبد الله بن مالك، فقال له أبو النضر: قد مضيت إليه مع رجل وسألته له فاعتذر. وقال فقال الرجل لأبي النضر: لعل ذاك لم يرزق وأنا أرزق، فثقل على أبي النضر العود إلى عبد الله بن مالك فأشار إلى وجهه وقال: أُخلقه ليوم تجدد فيه الوجوه.

ص٦٥

في ترجمة: همام بن إدريس البخاري.

ترك التعصب للرأي

قال أبو عمرو الحسين بن عمرو: سمعت وكيعا يقول: روى شعبة حديثا، فقيل له: إنك مُخالف في هذا الحديث، فقال من يخالفني؟ قالوا سفيان، قال: دعوه، سفيان أحفظ مني.

ص٨٠

في ترجمة: الهياج بن بسطام التميمي.

الإنفاق على طلبة العلم

قال مالك بن سليمان: كنا نكتب عن الهياج بن بسطام، فكلما فرغنا من الحديث دعا بالوضوء والخوان، فلم يدع أحد منا شاء أو أبى حتى أكلنا الجميع... وكان الهياج بن بسطام لا يمكِّن أحدا من حديثه حتى يطعم من طعامه، كان له مائدة مبسوطة لأصحاب الحديث، كل من يأتيه لا يحدثه، إلا من يأكل من طعامه.

ص٨٢-٨٣

في ترجمة: هشيم بن بشير السلمي.

العلم يرفع أهله

كان هشيم رجلا كان أبوه صاحب صحنا يقال له بشير، فطلب ابنه هشيم الحديث فاشتهاه، وكان أبوه يمنعه، فكتب الحديث حتى جالس أبا شيبة القاضي، فكان يُناظر أبا شيبة في الفقه، فمرض هشيم.

فقال أبو شيبة: ما فعل ذلك الفتى الذي كان يجيء إلينا؟

قالوا: عليل.

قال فقال: قوموا بنا حتى نعوده.

فقام أهل المجلس جميعا يعودونه حتى جاءوا إلى منزل بشير فدخلوا إلى هشيم، فجاء رجل إلى بشير ويده في الصحناة فقال الحق ابنك، قد جاء إليه القاضي يعوده، فجاء بشير والقاضي في داره. فلما خرج قال لابنه: يا بني قد كنت أمنعك من طلب الحديث فأما اليوم فلا، صار القاضي يجيء إلى بابي، متى أمّلت أنا هذا؟

الصحنا والصحناة: إدام يتخذ من السمك الصغار.

ص٨٧

في ترجمة: يحيى بن سعيد الأنصاري القاضي.

المال لا يغير الرجال

كان يحيى بن سعيد خفيف الحال، فاستقضاه أبو جعفر، وارتفع شأنه، فلم يتغير حاله، فقيل له في ذلك فقال: من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال.

ص١٠٣

في ترجمة: يحيى بن واضح الأنصاري (أبي تميلة).

أسلوب في التأديب والتربية (الثواب)

قال أبو تميلة: كان أبي والمبارك، يعني أبا عبدالله بن المبارك، وكانا تاجرين، فكانا قد جعلا لنا: من حفظ منا قصيدة فله درهم، فكنت أحفظ أنا وابن المبارك القصائد. قال أبو غسان –راوي الخبر–: فخرجا شاعرين كلاهما.

ص١٢٧

في ترجمة: يحيى بن خالد البرمكي.

التواضع رفعة

كان يحيى بن خالد يقعد في بيت مجتمع صغير مكتوب عليه:

كفى بملتمـــس التواضع رفعة

وكفـــى بملتمس العلو ســـفالا

ص١٢٩

كرم

قال إسحاق بن ابراهيم: كانت صلات يحيى بن خالد إذا ركب لمن تعرض له مائتي درهم، فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر فقال له:

يا ســـمِيَّ الحَصور يحيى أُتيحت

لـــك من فضـــل ربنـــا جنتان

كلّ من مرَّ فـــي الطريق عليكم

فلـــه مـــن نوالكـــم مئتـــان

مائتـــا درهـــم لمثلـــي قليل

هي منكـــم للقابـــس العجلان

قال يحيى: صدقت، وأمر بحمله إلى داره، فلما رجع من دار الخليفة سأله عن حاله فذكر أنه تزوج وقد أُخذ بواحدة من ثلاث، إما أن يؤدي المهر وهو أربعة آلاف، وإما أن يطلِّق، وإما أن يُقيم جاريا للمرأة ما يكفيها إلى أن يتهيأ له نقلها. فأمر له يحيى بأربعة آلاف للمهر، وبأربعة آلاف لثمن منزل، وأربعة آلاف لما يحتاج إليه المنزل، وأربعة آلاف للبنية، وأربعة آلاف يستظهر بها، فأخذ عشرين ألف درهم.

ص١٢٩-١٣٠

حِكم

قال يحيى بن خالد: ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها، الهدية، والكتاب، والرسول.

وكان يقول لولده: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

ص١٢٩

أنفق على كل حال

كان يحيى بن خالد يقول: إذا أقبلت فأنفق فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت فأنفق فإنها لا تبقى.

ص١٣١

احذر دعوة المظلوم، وتقلب الزمان

قال محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك: قال أبي لأبيه يحيى بن خالد بن برمك، وهُم في القيود والحبس، : يا أبت، بعد الأمر والنهي والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس؟

قال فقال أبوه له: يا بني، دعوة مظلوم سَرَت بِليل، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

رب قـــوم قد غدوا فـــي نعمة

زمنـــا والدهـــر ريَّـــان غدق

ســـكت الدهـــر زمانـــا عنهم

ثـــم أبكاهـــم دما حيـــن نطق

ص١٣٢

من ترجمة: يحيى بن سعيد القطّان، من شيوخ الإمام أحمد.

أدب في النقد

قال حنبل بن إسحاق: سمعت أبا عبدالله (يعني أحمد بن حنبل) يقول: ما رأيت أحدا أقل خطأ من يحيى بن سعيد، ولقد أخطأ في أحاديث. ثم قال أبو عبدالله: ومن يعرى من الخطأ والتصحيف.

ص١٤٠

من ترجمة: يحيى بن المبارك اليزيدي المُقرئ.

تأديب الزمان للإنسان

قال يحيى بن المبارك اليزيدي:

إذا نكبات الدهر لـــم تعظ الفتى
وتقرع منـــه لم تعظـــه عواذله
ومـــن لـــم يؤدِّبه أبـــوه وأمه
تؤدِّبْهُ روعاتُ الـــرَّدى وزلازله
فدع عنك ما لا تســـتطيع ولا تطع
هواك ولا يغلـــب بحقك باطله

ص١٤٨

المحبة

دخل اليزيدي على الخليل بن أحمد [الفراهيدي] يوما وعنده جماعة، وهو على وسادة جالس، فأوسع له، فجلس معه اليزيدي على وسادته.

فقال له اليزيدي: أحسبني قد ضيّقت عليك؟

فقال الخليل: ما ضاق شيء على اثنين متحابين، والدنيا لا تسع متباغضين.

ص١٤٨

في ترجمة: يحيى بن زياد الفرّاء. إمام العربيّة.

من قصص العلماء وطلبة العلم والنُسّاخ والوراقين

أمر أمير المؤمنين المأمون الفراءَ أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب، وأمر أن يُفرد في حجرة من حجر الدار، ووكل به جواري وخدما يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلّق قلبه، ولا تتشرّف نفسه إلى شيء، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وصيّر له الوراقين، وألزمه الأمناء والمنفقين، فكان يملي والوراقون يكتبون، حتى صنّف الحدود في سنين، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن.

فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس، وابتدأ يملي كتاب المعاني. وكان ورّاقيه سلمة وأبو نصر، قال [الراوي]: فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم يُضبط. قال فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا، فلم يزل يمليه حتى أتمّه. وله كتابان في المشكل، أحدهما أكبر من الآخر.

قال: فلما فرغ من إملاء المعاني خَزَنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به، وقالوا لا نخرجه إلى أحد إلا إلى من أراد أن ننسخه

له على خمس أوراق بدرهم!، فشكى الناس ذلك إلى الفراء فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك، فقالوا: إنما صحبناك لننتفع بك، وكل ما صنّفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب، فدعنا نعِش به.

قال: فقارِبوهم، تنتفعوا وينتفعوا، فأبوا عليه.

قال: سأريكم.

وقال للناس: إني مملٍ كتاب معانٍ أتمّ شرحاً وأبسط قولا من الذي أمليت.

فجلس يُمل، فأملّ الحمد في مائة ورقة.

فجاء الورّاقون إليه فقالوا: نحن نبلغ للناس ما يحبون، فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم.

ص ١٤٩، ١٥٠

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل

كان المأمون قد وكل الفراء يلقّن ابنيه النحو، فلما كان يوما أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانه له، فتنازعا أيهما يقدِّمه، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردا، فقدَّماها.

وكان المأمون له على كل شيء صاحب، فرفع ذلك إليه في الخبر، فوجَّه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: من أعز الناس؟

قال: ما أعرف أعز من أمير المؤمنين.

قال بلى! من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، حتى رضي كل واحد أن يقدم له فردا.

قال الفراء: يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها، وقد يروى عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين ركابيهما حين خرجا من عنده.

فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما وأنت أسن منهما؟

قال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل.

قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما وعتبا، وألزمتك ذنبا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبيَّن عن جوهرهما، وقد ثبتت لي مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل، وإن كان كبيرا، عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ووالده،

ومعلمه العلم. وقد عوضتهما ما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما.

ص١٥٠-١٥١

في ترجمة: الإمام يحيى بن معين.

من أدب النصيحة (الستر)

قال يحيى بن معين: أخطأ عفان في نيف وعشرين حديثا ما أعلمت بها أحدا، وأعلمته فيما بيني وبينه. ولقد طلب إلي خلف بن سالم فقال: قل لي أي شيء هي؟ فما قلت له. وكان يحب أن يجِدَ عليه.

قال يحيى بن معين: ما رأيت على رجل قط خطأ إلا سترته وأحببت أن أزين أمره، وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك وإلا تركته.

ص١٨٤

إحساس بالمسؤولية

قال يحيى: إني لأحدث بالحديث فأسهر له؛ مخافة أن أكون أخطأت فيه.

ص١٨٤

صفات التقي

قال داود بن رشيد: أنشدني يحيى بن معين:

المـــال يذهب حلِّـــهُ وحرامه
طـــرا ويبقى فــــي غــــدٍ آثامه
ليـــس التقـــي بمتَّـــق لإلهه
حتى يُطيـــب شـــرابه وطعامه
ويُطيب ما تحوي وتكســـب نفسه
ويكون في حسن الحديث كلامه
نطـــق النبـــي لنا به عـــن ربه
فعلـــى النبي صلاته وســـلامه

ص١٨٥

قصة في حسن الخاتمة

قال حبيش بن مبشر الفقيه: كان يحيى بن معين يحج فيذهب إلى مكة على المدينة، ويرجع على المدينة. فلما كان آخر حجة حجها خرج على المدينة ورجع على المدينة، فأقام بها يومين أو ثلاثة، ثم خرج حتى نزل المنزل مع رفقائه.

فباتوا فرأى في النوم هاتفا يهتف به يا أبا زكريا أترغب عن جواري؟ فلما أصبح قال لرفقائه: امضوا فإني راجع إلى المدينة، فمضوا ورجع فأقام بها ثلاثا ثم مات. قال فحمل على أعواد النبي صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه الناس وجعلوا يقولون: هذا الذابّ عن رسول الله ﷺ الكذب.

ص١٨٥-١٨٦

من ترجمة: يحيى بن أكثم التميمي القاضي.

رسالة عتاب أخوية

كتب يحيى بن أكثم بخطه إلى صديق له:

جفوتَ وما فيما مضى كنت تفعل
وأغفلت من لــــم تلفَه عنك يغفلُ
وعجَّلت قطع الوصل في ذات بيننا
بلا حدث أو كدت في ذاك تعجل
فأصبحت لولا أننــــي ذو تعطُّف
عليك بــــودّي صابــــر متحمل
أرى جفوة أو قسوة من أخي ندى
إلى الله فيها المشــــتكي والمعوَّل
فأقســــم لــــولا أن حقّك واجب
علــــيّ وأنّــــي بالوفــــاء موكَّل
لكنت عزوف النفس عن كل مُدبِرٍ
وبعض عزوف النفس عن ذاك أجمل

ولكنني أرعى الحقوق وأستحي
وأحمل من ذي الود ما ليس يُحمل
فإن مصاب المرء فــــي أهل وُدِّه
بلاء عظيم عند مـــــن كان يعقل

ص١٩٣-١٩٤

حكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال أبوالعيناء: كنا مع المأمون في طريق الشام، فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال لنا يحيى بن أكثم: بكِّرا غدا إليه فإن رأيتما للقول وجها فقولاه، وإلا فاسكتا إلى أن أدخل. قال: فدخلنا إليه وهو يستاك ويقول، وهو مغتاظ، : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ، وعلى عهد أبي بكر، وأنا أنهى عنهما. ومن أنت يا أحول حتى تنهى عما فعله النبي ﷺ وأبو بكر؟

فأومأت إلى محمد بن منصور أن أمسك، رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلِّمه نحن؟ فأمسكنا وجاء يحيى فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: مالي أراك متغيرا؟

قال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام.

قال: وما حدث فيه؟

قال: النداء بتحليل الزنا.

قال: الزنا؟

قال: نعم، المتعة زنا.

قال: ومن أين قلت هذا؟

قال: من كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ. قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين؟

قال: لا!

قال: فهي الزوجة التي عنى الله ترث وتورث، ويلحق الولد، ولها شرائطها؟

قال: لا!

قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين.

وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبدالله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما محمد بن علي عن علي بن أبي طالب. قال: قال أمرني رسول الله ﷺ بأن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها، بعد أن كان أمر بها.

فالتفت إلينا المأمون، فقال: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟

فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين. رواه جماعة منهم مالك.

فقال: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة فنادوا بها.

قال الصولي: سمعت إبراهيم بن إسحاق يقول، وقد ذكر يحيى بن أكثم، فعظّم أمره، وقال: كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله، وذكر هذا اليوم.

ص١٩٩-٢٠٠

آداب المروءة

قال أبو عالية الشامي، مؤدب ولد المأمون: لقي رجل يحيى بن أكثم وهو يومئذ على قضاء القضاة

فقال له: أصلح الله القاضي، كم آكل؟

قال: فوق الجوع ودون الشبع.

قال: فكم أضحك؟

قال: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك.

قال: فكم أبكي؟

قال: لا تمل البكاء من خشية الله.

قال: فكم أخفي من عملي؟

قال: ما استطعت.

قال: فكم أظهر منه؟

قال: ما يقتدى بك البرُّ الخيِّر، ويؤمن عليك قول الناس.

فقال الرجل: سبحان الله، قول قاطن وعمل ظاعن.

ص٢٠٠

في ترجمة: يحيى الجلاء صحب بشر بن الحارث، وحكى عنه وكان عبدا صالحا.

حادثة غريبة

قال ابن الجلاء: قلت لأبي وأمي أحب أن تهباني لله تعالى.

قالا: قد وهبناك لله تعالى.

فغبت عنهما مدة ورجعت من غيبتي وكانت ليلة مطيرة، فدققت عليهما الباب.

فقالا: من؟

قلت: ولدكما.

قالا: كان لنا ولد فوهبناه لله، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا.

وما فتحا لي الباب.

ص٢٠٤

في ترجمة: يحيى بن واقد الطائي.

أمسك مجنونك

يحيى بن واقد لنفسه:

تمســـــك بكلب لا خـــــلاق له

في المكرمات فقد شاع الخنازير

ص٢٠٥

من ترجمة: يحيى بن معاذ، أبي زكريا الرازي الواعظ.

أحسن الوعظ

كان يقول: أحسن شيء كلامٌ صحيح، من لسان فصيح، في وجه صبيح، كلام رقيق، يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رفيق

ص٢٠٩

مناجاة

كان يحيى يقول: إلهي، حجتي حاجتي، وعدتي فاقتي، وسبيلي إليك نعمتك علي، وشفيعي لديك إحسانك إلي.

وكان يقول: إلهي أعلم أن لا سبيل إليك إلا بفضلك، ولا انقطاع عنك إلا بعدلك، إلهي كيف أنساك وليس لي رب سواك، إلهي لا أقول لا أعود، لأني أعرف من نفسي نقض العهود لكني أقول لا أعود، لعلي أموت قبل أن أعود.

ص٢٠٩،٢١٠

موعظة

كان يحيى يقول: عملٌ كالسراب، وقلبٌ من التقوى خراب، وذنوبٌ بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب، هيهات أنت سكران بغير شراب. ما أكمَلَكْ لو بادرت أملك، ما أجلَّك لو بادرت أجلك، ما أقواك لو خالفت هواك.

ص٢١٠

من هو الكيِّس

كان يحيى بن معاذ يقول: الكيس من فيه ثلاث خصال، من بادر بعمله، وسوَّف بأمله، واستعد لأجله.

ص٢١٠

حب الموت دليل صحة إرادة ما عند الله

كان يحيى بن معاذ الرازي الواعظ يقول: ما صحَّت إرادة رجل قط فمات حتى حنّ إلى الموت، واشتهاه اشتهاء الجائع للطعام، لارتداف الآفات، واستيحاشه من الأهل والإخوان، ووقوعه فيما يتحيّر فيه صريح عقله.

ص٢١٠

تحوّل عن الدنيا

قال يحيى بن معاذ الواعظ: كل مريد لم يحوّل نفسه عن لذاذة الدنيا فقد صار ضحكة للشيطان، وعجبت من قوم باعوا ربهم بشهوات أنفسهم ورفضوا آخرتهم بدنياهم، وطرحوا دينهم، ورفعوا طينهم، كلاب الأماني، كأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب.

ص٢١٠

البر الرحيم

كان يحيى بن معاذ الرازي الواعظ يقول: ومن لي بمثل ربي، إن أدبرت ناداني، وإن أقبلت ناجاني، وإن دعوت لبّاني، حسبي ربي. وأنشأ يقول:

حسبي حياة الله من كل ميت

وحسبي بقاء الله من كل هالك

إذا ما لقيت الله عنّيَ راضيا

فإن سرور النفس فيما هنالك

ص٢١٠

ما بَعُد طريق إلى صديق

قال يحيى بن معاذ الواعظ:

ما بعد طريق إلى صديق، ولا استوحش في طريق من سلك فيه إلى حبيب.

ص٢١١

خف النار

قال يحيى بن معاذ الرازي الواعظ:

مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة.

ص٢١٢

مـن ترجمة: يعقـوب بن إبراهيم، أبي يوسـف القاضي صاحب أبي حنيفة.

العلم يرفع أهله

عن أبي يوسف قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقِلٌّ رثّ الحال، فجاء أبي يوماً وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه. فقال: يا بني لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة، فإن أبي حنيفة خبزه مشوي، وأنت تحتاج إلى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فجعلت أتعاهد مجلسه. فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه.

قال لي: ما شغلك عنا؟

قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة، وقال: استمتع بهذه، فنظرت فإذا فيها مائة درهم.

فقال لي: الزم الحلقة وإذا نفذت هذه فأعلمني، فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة درهم أخرى، ثم كان يتعاهدني، وما أعلمته نحلة قط ولا أخبرته بنفاذ شيء، وكان كأنه يُخبر بنفاذها حتى استغنيت وتموَّلت.

وحكى أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلا صغيرا، وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضوره حلقة أبي حنيفة.

قال يعقوب بن إبراهيم: توفي أبي ابراهيم بن حبيب وخلّفني صغيراً في جحر أمي، فأسلمتني إلى قصار أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة أبي حنيفة فأجلس استمع، فكانت أمي تجيء خلفي إلى الحلقة، فتأخذ بيدي وتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي، قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له، وإنما أطعمه من مغزلي وآمل أن يكسب دانقا يعود به على نفسه.

فقال لها أبو حنيفة: مرّي يا رعناء هذا هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك. ثم لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون فالوذجة.

فقال لي هارون: يا يعقوب، كل منه فليس كل يوم يعمل لنا مثله.

فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين؟

فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت.

فقال لي: مم ضحكت؟

فقلت: خيراً أبقى الله أمير المؤمنين.

قال: لتخبرني، وألحّ علي، فخبّرته القصة من أولها إلى آخرها.

فعجب من ذلك. وقال: لعمري إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا.

وترحّم على أبي حنيفة، وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه.

ص٢٤٤،٢٤٥

نطق المرء دليل على عقله

كان رجل يجلس إلى أبي يوسف فيُطيل الصمت.

فقال له أبو يوسف: ألا تتكلم؟

فقال: بلى، متى يفطر الصائم.

قال: إذا غابت الشمس.

قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟

قال فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في استدعاء نطقك، ثم تمثّل:

عجبـــتُ لإزراء العييّ بنفســـه
وصمت الذي قد كان للقول أعلما
وفي الصمت ســـتر للعيي، وإنما
صحيفــــة لب المـــــرء أن يتكلما

ص٢٤٨

لا تصحب من لا يخشى العار

قال أبو يوسف القاضي: صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة

ص٢٤٨

رؤوس النعم

حدث عبدالله بن أحمد عن أبيه قال: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: رؤوس النعم ثلاث، فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها، فأعجبني ذلك.

ص٢٤٨

أدب الطلب للعلم

كان قاضي القضاة أبو يوسف يقول: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك، وأنت إذا أعطيته كُلّك من إعطائه البعض على غرر.

ص٢٤٩

حيلة قاض لاسترداد حق

خوصم موسى، أمير المؤمنين، إلى أبي يوسف في بستانه، فكان الحكم في الظاهر لأمير المؤمنين وكان الأمر على خلاف ذلك.

فقال أمير المؤمنين لأبي يوسف: ما صنعت في الأمر الذي يتنازع إليك فيه؟

قال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلِّف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق.

فقال له موسى: وترى ذلك؟

قال: قد كان ابن أبي ليلى (شيخ أبي يوسف) يراه.

قال: فأردد البستان عليه. وإنما احتال عليه أبو يوسف.

ص٢٤٩

من ترجمة: يعقوب بن داود، وزير المهدي.

استوزره أمير المؤمنين المهـدي، وقرب من قلبه وغلب على أمره، ثم نكبه وأودعه السجن.

الفرج بعد الشدة

قال عبد الله بن يعقوب بن داوود: قال أبي: حبسني المهدي في بئر، وبُنيت عليَّ قبة، فمكثت فيها خمس عشرة حجة، حتى مضى صدر من خلافة الرشيد. وكان يُدَلَّى إلي في كل يوم رغيف وكوز من ماء، وأوذن بأوقات الصلاة. فلما كان في رأس ثلاث عشرة حجة أتاني آت في منامي فقال:

حنا على يوسف رب فأخرجه   من قعر جب وبيت حوله غمم

قال فحمدت الله وقلت أتى الفرج. قال فمكثت حولاً لا أرى شيئا، فلما كان رأس الحول أتاني ذلك الآتي فقال لي:

عسى فرج يأتي به الله إنه   له كل يوم في خليقته أمر

قال ثم أقمت حولاً لا أرى شيئا، ثم أتاني ذلك الآتي بعد الحول فقال:

عســـــى الكرب الذي أمسيت فيه
يكـــــون وراءه فـــــرج قريـــــب
فيأمـــــن خائـــــف ويفـــــك عان
ويأتي أهلـــــه النائـــــي الغريب

قال فلما أصبحت نوديت، فظننت أنى أوذن بالصلاة، فدُلِّي لي حبل أسود وقيل لي: أشدد به وسطك، ففعلت فأخرجوني، فلما قابلت الضوء غشى بصري، فانطلقوا بي فأدخلت على الرشيد فقيل سلم على أمير المؤمنين.

فقلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته المهدي.

قال: لست به.

قلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الهادي.

قال: ولست به؟

قلت: السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

قال: الرشيد.

فقلت: الرشيد.

فقال: يا يعقوب بن داوود، إنه والله ما شفع فيك إليَّ أحد، غير أني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك إياي على

عنقك، فرثيت لك من المحل الذي كنت به فأخرجتك.

قال: فأكرمني وقرَّب مجلسي.

قال: ثم إن يحيى بن خالد تنكر لي كأنه خاف أن أغلب على أمير المؤمنين دونه، فخفته فاستأذنت للحج فأذن لي، فلم يزل مقيماً بمكة حتى مات بها.

ص٢٦٤-٢٦٥

في ترجمة: يعقوب بن شيبة السدوسي.

إيثار الإخوان

قال يعقوب بن شيبة: أظل عيد من الأعياد رجلا، يومئ إلى أنه من أهل عصره، وعنده مائة دينار لا يملك سواها، فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له: قد أظلنا هذا العيد ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، ويستدعي منه ما ينفقه: فجعل المائة دينار في صرة وختمها وأنفذها إليه.

فلم تلبث الصرة عند الرجل إلا يسيراً حتى وردت عليه رقعة أخ من إخوانه، وذكر إضاقته في العيد، ويستدعي منه مثل ما استدعاه، فوجَّه بالصرة إليه بختمها. وبقي الأول لا شيء عنده، فكتب إلى صديق له وهو الثالث الذي صارت إليه الدنانير يذكر حاله ويستدعي منه ما ينفقه في العيد، فأنفذ إليه الصرة بخاتمها.

فلما عادت إليه صرته التي أنفذها بحالها ركب إليه ومعه الصرة، وقال: ما شأن هذه الصرة التي أنفذتها إلي؟ فقال له: إنه أظللنا العيد ولاشيء عندنا ننفقه على الصبيان، فكتبت إلى فلان أخينا استدعى منه ما ننفقه، فأنفذ إليّ هذه الصرة، فلما وردت رقعتك عليَّ أنفذتها إليك.

فقال له قم بنا إليه، فركبا جميعاً إلى الثاني ومعهما الصرة، فتفاوضوا الحديث ثم فتحوها فاقتسموها أثلاثاً. قال أبو الحسن قال لي أبي: والثلاثة يعقوب بن شيبة، وأبو حسان الزيادي القاضي، وأُنسيت أنا الثالث.

ص٢٨٢

من ترجمة: يعقوب بن يزيد التمار الشاعر.

مواساة صديق في مرضه

أنشد يعقوب التمار:

ولمّا علاك الشكو كادت نفوسنا

تُلاقي الردى أن قيل أصبح شاكيا

أرى الدهر ما عوفيت للناس ضاحكاً

فإن تلق شكوى يصبح الدهر باكيا

ص٢٨٧،٢٨٨

من ترجمة: يوسف بن يعقوب الأزدي البصري القاضي.

شدة قاض وعدله

القاضي يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد، كان رجلاَ صالحا عفيفاً خيراً، حسن العلم بصناعة القضاء، شديداً في الحكم، لا يراقب فيه أحداً. وكانت له هيبة ورياسة، وحمل الناس عنه حديثاً كثيراً، وكان ثقة أميناً.

قال ابنه محمد بن يوسف: قدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله إلى أبي في حكم، فجاء فارتفع في المجلس، فأمره الحاجب بموازاة خصمه، فلم يفعل؛ إدلالا بعظم مجلسه من الدولة، فصاح أبي عليه وقال: قَفَاه، أتؤمر بموازاة خصمك فتمتنع؟ يا غلام! عمرو بن أبي عمرو النخاس الساعة يقدم إليه، ببيع هذا العبد وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين، ثم قال لحاجبه: خذ بيده وسوِّ بينه وبين خصمه، فأُخذ كُرها وأُجلس مع خصمه.

فلما انقضى الحكم انصرف الخادم فحدَّث المعتضد بالحديث، وبكى بين يديه، فصاح عليه المعتضد وقال: لو باعك لأجزت بيعه، وما رددتك إلى ملكي أبدا، وليس خصوصك لي يزيل مرتبة الحكم،

فإنه عمود السلطان، وقوام الأديان.

ص٣١٠

مرور الزمان نقص للعمر

دخل رجل مع أبي بكر بن أبي الدنيا إلى القاضي يوسف بن يعقوب، فسأل القاضي عن قوّته؟ فقال القاضي: أجدني كما قال سيبويه:

لا ينفـــع الهليـــون والطريفل
انخرق الأعلى وجار الأســـفل

ونـحـن في جـد وأنـت تـهـزل

فكيف تجدك أنت يا أبا بكر أصلحك الله؟ فقال:

أراني فـــي انتقـــاص كل يوم
ولا يبقـــى مع النقصان شـــيٌّ

طوى العصران ما نشـــراه مني
فاخلـــق جِدّتـــي نشـــرٌ وطيٌّ

وكان مولدهما جميعا في سنة ثمان ومائتين.

ص٣١١

في ترجمة: يوسف بن الحسين الرازي، من مشايخ الصوفية.

لا تجهل قدرك

قال ذو النون المصري: من جهل قدره هتك ستره

ص٣١٤

نور الله يكفيك

قال أحمد بن فارس بن زكريا: سمعت أبي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: كنت أيام السياحة في أرض الشام أمسك بيدي عكازة مكتوب عليها:

سِـــــر في بـــــلاد الله ســـيّاحا

وَابـــــكِ علـــــى نفســـــك نواحا

وامش بنـــــور الله فـــــي أرضه

كفـــــى بنـــــور اللـــــه مصباحا

ص٣١٦

اسع لله يكفك

قال فارس الدينوري: رأيت ليوسف بن الحسين الرازي مخلاة مكتوب عليها:

لا يـــومــــــك ينـســـــاك
ولا رزقـــــك يـــعــــــدوك
ومـــــن يطمـــع فـــي الناس
يكـــــن للنـــــاس مملــــوك
فليـكن سعيــك لله فــإن الله يكفيـك

ص٣١٦

ذو النون واسم الله الأعظم

قال يوسف بن الحسين الرازي الصوفي: قيل لي إن ذا النون المصري يعرف اسم الله الأعظم، فدخلت مصر فذهبت إليه، فبصرني وأنا طويل اللحية، ومعي ركوة طويلة، فاستشنع منظري ولم يلتفت إلي، قال أبو الحسن محمد بن عبد الله: وكان يوسف يقال إنه أعلم أهل زمانه بالكلام وعلم الصوفية، فلما كان بعد أيام جاء إلى ذي النون رجل صاحب كلام، فناظر ذا النون فلم يقم ذو النون بالحجج عليه.

قال فاجتذبته إلي وناظرته فقطعته، فعرف ذو النون مكاني فقام إلي وعانقني وجلس بين يدي وهو شيخ وأنا شاب وقال: أعذرني فلم أعرفك، فعذرته وخدمته سنة واحدة، فلما كان على رأس السنة قلت له يا أستاذ إني قد خدمتك وقد وجب حقي عليك، وقيل لي إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقد عرفتني ولا تجد له موضعاً مثلي، فأحب أن تعلمني إياه.

قال فسكت عني ذو النون ولم يجبني، وكأنه أومأ إلي أنه يخبرني. قال فتركني بعد ذلك ستة أشهر، ثم أخرج إلي من بيته طبقاً ومكبة مشدودا في منديل، وكان ذو النون يسكن في الجيزة.

فقال: تعرف فلاناً صديقنا من الفسطاط؟

قلت: نعم.

قال: فأحب أن تؤدي هذا إليه.

قال فأخذت الطبق وهو مشدود وجعلت أمشي طول الطريق وأنا متفكر فيه، مثل ذي النون يوجه إلى فلان بهدية ترى إيش هي؟، قال فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر فحللت المنديل وشلت المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت، قال فاغتظت غيظا شديداً! وقلت: ذو النون يسخر بي ويوجه مع مثلي فأرة إلى فلان، فرجعت على ذلك الغيظ.

فلما رآني عرف ما في وجهي. قال: يا أحمق، إنما جربناك، ائتمنتك على فأرة فخنتني، أفأئتمنك على اسم الله الأعظم؟ وقال مر عني فلا أراك شيئا آخر.

ص٣١٧

يا هادم الوصل

قال أبو الحسن الدرّاج:

رأيتـــــك تبني دائباً فــــــي قطيعتي
ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

ص٣١٨

نصحت الناس وغششت نفسي

قال أبو عبدالله الخنقباذي: حضرنا يوسف بن الحسين الرازي وهو يجود بنفسه، فقيل له يا أبا يعقوب قل شيئا. فقال: اللهم إني نصحت خلقك ظاهرا، وغششت نفسي باطنا، فهب لي غشي لنفسي لنصحي لخلقك. ثم خرجت روحه.

قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرازي إمام المسجد الحرام: حكى لي أبو خلف الوزان عن يوسف بن الحسين الرازي أنه رؤي في النوم، فقيل له ماذا فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني. فقيل بماذا؟ قال: بكلمة أو بكلمات قلتها عند الموت، قلت: اللهم إني نصحت الناس قولا، وخنت نفسي فعلا، فهب خيانة فعلي لنصيحة قولي.

ص٣١٨-٣١٩

من ترجمة: يوسف بن عمر الأزدي القاضي.

العلم في محنة والجهل منشور

أنشد أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد القاضي لنفسه:

يــــا محنـــــة اللـــــه كُفِّـــــي
إن لـــــم تكُفِّـــــي فخفـــــي

مــــا آن أن ترحـمـيـنــــــا
من طـــول هـــذا التشـــفي

ذهبـــت أطلـــب بَخْتـــي
فقيـــل لـــي قـــد تُوُفـــي

ثـــورٌ ينـــالُ الثريّـــا
وعـــالـــمٌ مـتـخـفِّـــي

الحـمـــــد للـــه شكـــرا
علـــى نقـــاوة حـرفـــي

ص٣٢٣-٣٢٤

من ترجمة: يزيد بن هارون السلمي. من شيخ الإمام أحمد.

ذكاء عالم

قال ابن أكثم: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت (القرآن مخلوق).

فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يكون يُتّقى؟

قال فقال: ويحك، إني لا أتقيه لأن له سلطانا أو سلطنة، ولكن أخاف إن أظهرته فيرد علي، فيختلف الناس وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة.

قال فقال له الرجل: فأنا أَخبُر لك ذلك منه.

قال فقال له: نعم!

قال: فخرج إلى واسط. فجاء إلى يزيد فدخل عليه المسجد، وجلس إليه.

فقال له: يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر القرآن مخلوق.

قال فقال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، فإن كنت صادقا فاقعد إلى المجلس فإذا اجتمع الناس فقل.

قال: لما كان من الغد اجتمع الناس فقام فقال: يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: إني أردت أن أظهر القرآن مخلوق، فما عندك في ذلك؟

فقال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه وما لم يقل به أحد.

قال فقدم. فقال يا أمير المؤمنين كنت أنت أعلم، قال كان من القصة كيت وكيت.

قال فقال له: ويحك تلعَّب بك.

ص٣٤٢

قصيدة لأجل حديث

وفد علي بن الجندي الحراني على يزيد بن هارون، لحديث الفتون يسمعه منه، فقيل له: إنه قد حلف أن لا يحدث به، فقال قصيدة يستخرج بها الحديث منه. فقام بالقرب منه، فأنشدها يزيد بن هارون فاستمع له، فكان إذا مر فيها يمدحه نهاه ويعض يده، ثم يستمع له بعد

حتى أتمها فقال:

دع عنك ما قد مضى في سالف الزمن
من نعت رَبــــعِ ديارِ الحيِّ والدمن
واذكر مســــيرك في غبراء موحشة
مـــن الفدافد والقيعـــان والمنن
من كل بلقعة، ديمومة ســـحق
تنائـــف قفـــرة داوية شـــزن
عســـفتها بعلنـــدات مركبـــة
موَّارة الضبع ممراح من الســـمن
تســـتن بين قراريـــد الأكام إذا
ترقرق الآل عنـــد الناظر الفطن
وفي الظلام إذا ما الليل ألبســـها
جلبابه، وتجلى عين ذي الوســـن
حتى إذا ما مضى شـــهر وقابلها
شـــهر، وعاودها وهن عن الظعن

ظلت تشـــكى إلي الأين مرجفة
فقلت: مهلا لحـــاك الله، لا تهني
مازلـــت أتبعها ســيرا وأدأبها
نصا، وأحضرها بالســـير والمشن
حتى تفرقت الأوصال وانجلدت
بين الرمال علــــى الأعفاج والثفن
فجئت أهـــوى على حيزوم طافية
في لجة الماء لا ألوي على شجن
إلى يزيد بـــن هارون الذي كملت
فيه الفضائل أو أشـــفى على ختن
حتـــى أتيت إمام النـــاس كلهم
في العلم والفقه والآثار والســـنن
والدين والزهد والإسلام قد علموا
والخوف لله في الأسرار والعلن
بـــرا، تقيا، نقيا، خاشـــعا، ورعا
مبرأ من ذوي الآفـــات والأبن

مازال مذ كان طفلا في شـــــبيبته
حتى علاه مشيب الرأس والذقن
مبـــــاركا هاديا للناس محتســــبا
علـــــى الأنام، بلا مَـــــنٍّ ولا ثمن
إذا بـــــدا خلت بـــــدرا عند طلعته
نورا حباه بــــه الرحمن ذو المنن
يظـــــل منعفـــــرا للــــه مبتهلا
يدعو الإله بقلـــــب دائم الحزن
يشـــــفي القلوب إذا ما قال أخبرنا
يحيى، فيا لك من ذي منظر حسن
أو قـــــال أخبرنــــا داود مبتدئاً
أو عاصم، تلـــــك منه أعظم الفتن
أو قـــــال أخبرنا التيمـــــي منفرداً
فالعلم والـــــدر مقرونان في قرن
فـــــإن بـــــدا بحميد، ثـــــم أتبعه
عوَّام، خلت بنـــــا جِنّا من الجنن

وإن بدا بابن عـــون، أو بصاحبه
فالمـــسُّ ثَمَّ علينــــا غير مؤتمن
أو قال حجـــاج، فالحجاج غايتنا
أو الحسين سها ذو اللب والفطن
والأشجعي وعمرو عند ذكرهما
ينسى الغريب جميع الأهل والوطن
وبعد ذلك أشـــياخ لـــه أخر
مثل المصابيح أوهى ذكرهم بدني
بَهْز، وعوف، وســـفيان، وغيرهم
محمد، وهشـــام، أزيـــن الزين
والعزرمي واســـماعيل أصغر من
يروي له هكذا مـــن كان فليكن
يا طالب العلـــم، لا تعدل به أحداً
قد كنت في غفلـــة عنه وفي ددن
بقيـــة الناس، من هـــذا يعادله؟
في سالف الدهر أو في غابر الزمن

يلقـــــى إليه رفاق النــــاس عامدة
على المحامل والأقتاب والسفن
من الجزيـــــرة أرســـــالاً متابعة
ومن خراسان، أهل الريف والمدن
ومن حجاز هنــــاك العير قاصدة
ومن عراق، ومن شام، ومن يمن
يأتون عنه غزير العلم محتســـــبا
ترى الحديث لديـــــه غير مختزن
يزيد، أصبحت فوق الناس كلهم
شيئا خصصت به يا واسع العطن
ساويت شعبة والثورى قد علموا
وابن المبارك، لم يصبح على عين
إليك أصبحت مـــــن حران مغتدياً
شـــــوقاً إليك، لعل الله يرحمني
إن الـــــذي جئت أبغيـــــه وأطلبه
منك الفتون حديثـــــاً كي تحدثني

عجل سراحي، جزاك الله صالحة

وقل نعم! ونعيماً، يا أبا الحســـــن

ص٣٤٤،٣٤٥

واسطيون

قال أبو بكر يحيى بن أبي طالب يقول: كنا في مجلس يزيد، يعني ابن هارون، فألحوا عليه من كل جانب يسألونه عن شيء، وهو ساكت لا يجيب حتى إذا سكتوا قال يزيد: إنا واسطيون. يعني ما قيل: تغافل كأنك واسطي.

قال الصولي: كنا يوماً عند أبي العباس المبرد. فقال له غلام لاسماعيل القاضي: كتب الحجاج إلى عبد الملك إني قد بنيت مدينة على كرش دجلة، فكان يصاح بالواحد منهم يا كرش، فيتغافل ويقول: أنا واسطي ولست بكرش. ثم أنشدنا الفضل الرقاشي:

تركـــــت عبادتي ونســـــيت ربي

وقـــــد ما كنـــــت بي بــــرًّا حفِيّا

فمـــــا هذا التغافل يا ابن عيســـــى

أظنــــك صرت بعدي واســــطيا

ص٣٤٥

فـي ترجمـة: أبي بكـر بن عياش بن سـالم، من شـيوخ الإمام أحمد وعبدالله بن المبارك.

طرفة

ركب مع أبي بكر بن عياش في سفينة: مرجئ؛ ورافضي؛ وحروري، فاختلفوا فيما بينهم، فجاؤوا إلى أبي بكر بن عياش.

فقالوا: أحكم بيننا.

فقال: قد عرفتم خلافي لكم كلكم.

قالوا: على ذلك أحكم بيننا.

فقال للرافضي: في الدنيا قوم أجهل منكم؟ تزعمون أن هذا الأمر كان لصاحبكم، فتركه حياته وسلمه لغيره، ثم تبغون أن تأخذوا له به بعد وفاته؟

ثم قال للحروري: تتورعون عن قتل النساء والولدان وتستحلون سفك دماء المسلمين.

ثم قال للمرجئ: أنت أحمق الثلاثة، هذان يزعمان أنك في النار، وأنت تشهد أنهما في الجنة.

ص٣٧٧

من ترجمة: أبي بكر الدارقطني المؤدّب.

الرسول ﷺ يوصي بطلبة العلم

حدث حماد بن سلمة وعكرمة بن ابراهيم جميعاً عن أبي هارون عن أبي سعيد [الخدري رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتيكم قوم يطلبون العلم، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً» قال عكرمة قال أبو هارون. فكنا إذا أتينا أبا سعيد قال: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ[١].

ص٣٨٧

(١) الحديث عند الطبراني في المعجم الأوسط (صالح).

من ترجمة: أبي بكر النسّاج.

التسويف حسرة

قال السري [السقطي]: من استعمل التسويف طالت حسرته يوم القيامة.

ص٣٨٨

في ترجمة: أبي بكر، ختن الجنيد بن محمد الزاهد.

أدب الأخوة

أنشد الجنيد بن محمد:

تحمَّل عظيـــم الذنب ممن تحبه

وإن كنت مظلومـــا فقل أنا ظالم

ص٣٨٨

من لم يحفظ الود

أنشد الجنيد:

أنـــاس أمِنَّاهم فنَمُّـــوا حديثنا

فلما كتمنا الســـر عنهـــم تقوَّلوا

ولم يحفظوا الـــودّ الذي كان بيننا

ولا حين همُّـــوا بالقطيعة أجملوا

ص٣٨٨

من ترجمة: أبي بكر القوطي، من مشايخ الصوفية.

إيثار!!

قال محمد بن داود: سمعت أبا بكر القوطي وأبا عمرو بن الأدمي يقولان، وكانا يتواخيان في الله، : خرجنا من بغداد نريد الكوفة، فلما صرنا في بعض الطريق إذا نحن بسَبْعين رابضين على الطريق.

فقال أبو بكر لأبي عمرو: أنا أكبر سنا منك، دعني حتى أتقدمك، فإن كانت حادثة اشتغلوا بي عنك ونجوت أنت.

فقال أبو عمرو: نفسي ما تسامحني بهذا، ولكن نكون جميعا في مكان واحد، فإن كانت حادثة كنا جميعا.

فجازا جميعا في وسط السبعين فلم يتحركا ومرّا سالمين.

ص٣٨٨

من ترجمة: أبي بكر الشبلي الصوفي.

الأمر الأعجب

سئل الشبلي: أي شيء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه.

ص٣٩٠

فضل الذكر

قال الشبلي: ذكر الله على الصفاء، ينسي العبد مرارة البلاء.

ص٣٩١

راحة المشتاق

قال رجل للشبلي: إلى ماذا تستريح قلوب المحبين والمشتاقين؟ فقال: إلى سرورهم عن أجره وقد اشتاقوا إليه. وأنشد:

أســـــر بمهلكـــــي فيـــــه لأني
أســـــر بما يسُـــــرّ الإلـــــف جدا

ولو سـئلت عظامي عن بلاها
لأنكرت البلا وسـمعت جحدا
ولو أخرجت من سـقمي لنادى
لهيب الشـوق بي يسـأله ردا

ص٣٩١

فرق بين رِقّين

سئل الشبلي: ما الفرق بين رق العبودية ورق المحبة؟ فقال: كم بين عبد إذا أعتق صار حرا، وعبد كلما أعتق ازداد رقا. ثم أنشأ يقول:

لتحشـرن عظامي بعد إذ بليت
يوم الحسـاب وفيها حبكم علق

ص٣٩١

التصوف

قال علي بن المثنى العنبري: سألت أبا بكر الشلبي جحدر بن دلف عن التصوف. فقال: التصوف ترويح القلوب بمراوح الصفاء، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء، والتخلق بالسخاء، والبشر في اللقاء.

ص٣٩١

تقلب الدنيا

قال الشبلي: كنت باليمن وكان باب دار الأمير رحبة عظيمة وفيها خلق كثير قيام ينظرون إلى منظرة، فإذا قد ظهر من المنظرة شخص أخرج يده كالمسلم عليهم، فسجدوا كلهم، فلما كان بعد سنين كنت بالشام وإذا تلك اليد قد اشترت لحما بدرهم وحملته، فقلت له أنت ذلك الرجل؟ قال نعم. من رأى ذاك ورأى هذا يغتر بالدنيا؟!

ص٣٩٣

الحجة

عن أبي محمد الحريري. قال: مكثت عند الشبلي في الليلة التي مات، فكان يقول طول ليلته هذين البيتين:

كل بيـــت أنـــت ســـاكنه
غيـــر محتـــاج إلى الســـرج
وجهـــك المأمـــول حجتنـــا
يوم يأتـــي النـــاس بالحجج

ص٣٩٦

من ترجمة: أبي هاشم الزاهد.

الأنس بالله

قال أبو هاشم الزاهد: إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها، وليقبل المطيعون إليه بالإعراض عنها، فأهل المعرفة بالله فيها مستوحشون، وإلى الآخرة مشتاقون.

ص٣٩٧

من ترجمة: أبي عبدالله بن أبي جعفر، البراثي الزاهد.

فوائد التوكل

قال أبوعبد الله البراثي: قال لي رجل من العباد: إنك أيها الرجل إن فوضت أمرك إليه اجتمع لك في ذلك أمران.

قلت: ما هما؟

قال: قلة الاكتراث بما قد ضمن لك، وراحة البدن من مطلب ذلك.

فأي حال أكبر من حال المطيع له، والمتوكل عليه؟ كفاه الله بتوكله عليه الهم، وأعقبه الراحة.

ص٤٠٣

من ترجمة: أبي يعقوب الشريطي الصوفي البصري.

كان حافظا لعلوم عدة بصيرا بالحديث.

لا تحقر أحدا

دخل أبو يعقوب الشريطي، وكان من أهل البصرة، مجلس داود الأصبهاني وعليه خرقتان، فتصدر لنفسه من غير أن يرفعه أحد، وجلس بجنب داود، فحرد داود وقال: سل يا فتى، فقال أبو يعقوب: يسأل الشيخ عما أحب، فحرد داود وقال: عما أسألك عن الحجامة أسألك؟

قال: فبرك أبو يعقوب ثم روى طرق «أفطر الحاجم والمحجوم» من أرسله؛ ومن أسنده؛ ومن أوقف؛ ومن ذهب إليه من الفقهاء. وروى اختلاف طرق: «احتجم النبي وأعطى الحجام أجره، ولو كان حراما لم يعطه». ثم روى طرق أن النبي احتجم بقرن.

وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة، ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل «ما مررت بملأ من الملائكة» ومثل «شفاء أمتي» ومثل ذلك. ثم ذكر الأحاديث الضعيفة مثل قوله «لا تحتجموا يوم كذا، ولا ساعة كذا»، ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان،

وذكر ما ذكره الأطباء في الحجامة.

ثم قال: وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان[1].

فقال داود: والله لا حقرت أحدا بعدك.

ص٤٠٨-٤٠٩

---

(١) قوله: «وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان»: تعريض بداود الأصفهاني.

من ترجمة: أبي جعفر بن الكرنبي الصوفي.

مجاهدة شديدة

قال ابن الكرنبي: أصبت ليلة جنابة احتجت أن أغتسل، وكانت ليلة باردة، فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا، وحدثتني نفسي لو تركت حتى تصبح فيسخن لك الماء، أو تدخل الحمام، وإلا أعنت على نفسك.

فقلت: واعجباه، أنا أعامل الله في طول عمري، يجب له عليّ حق لا أجد المسارعة إليه، وأجد الوقوف والتباطي والتأخر، آليت لا أغتسلت إلا في نهر، وآليت لا أغتسلت إلا في مرقعتي هذه، وآليت لا نزعتها، وآليت لا عصرتها وآليت لا جففتها في شمس، أو كما قال.

ص٤١٤

من ترجمة: أبي العباس البغدادي.

الأنس بالوحدة

قال العباس بن يوسف الشكلي: رأيت أبا العباس البغدادي جالسا على صخرة بساحل الإسكندرية. والأمواج تضرب الصخرة، ويده على خدّه ينظر إلى الأمواج، فوقفت أنظر إليه فأقبل عليّ بوجهه. وأنشأ يقول:

أنســـــت بالوحدة مـــــن بعد ما
كنت مـــــن الوحدة مستوحشـــــا
فصـــــرت بالوحدة مستأنســـــا
وصـــــارت الوحدة لي مجلســـــا

ص٤١٩، ٤٢٠

من ترجمة: أبي علي بن بيان. العابد الزاهد.

المسلم وتقلب الفصول

قال أبو علي بن بيان: إذا حمى عليَّ حر الصيف برّدته بذكر النعم، وإذا برد على الشتاء أحميته بخوف النقم.

ص٤٢٧

في ترجمة: أبي الحسن النخاس.

الفترة غفلة

قال سهل بن عبدالله [التستري]: الفترة غفلة، والخشية يقظة، والقسوة موت.

ص٤٢٨

في ترجمة: أبي الحسن العلوي الصوفي.

الخشية هبة الله للعالم

قال ابراهيم الخواص: أول ما يهب الله تعالى للعالم الرباني خشيته.

ص٤٢٨

في ترجمة: أبي الحسن بن أنس، العطار.

الأخ الأقرب

قيل للشبلي: من أقرب أصحابك إليك؟ قال مسرعا: ألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله عز وجل.

ص٤٢٩

من ترجمة: أخي علي بن الجهم الشامي الشاعر.

التواضع صفة الكريم

أنشد أخو علي بن الجهم:

كريـــــم له نفـــــس تثيـــــر يلينها
ليرفع عن ســـــلطانها سنن الكبر

إذا نازعته نفســـــه عظـــــم قدره
دعاه إلى تســـــكينها عظم القدر

ص٤٣٠

من ترجمة: خديجة، أم محمد. سمعت من أحمد بن حنبل.

مجالس الذكر شفاء

عن عون بن عبدالله قال: كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها، فقالوا لعلنا قد أمللناك؟ قالت تزعمون أنكم قد أمللتموني، فقد طلبت العبادة في كل شيء فما وجدت شيئا أشفى لصدري، ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر.

ص٤٣٥، ٤٣٦

من ترجمة: مضغة، ومخة، وزبدة، أخوات بشر بن الحارث.

الورع

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت مع أبي يوما من الأيام في المنزل، فدق داق الباب، فقال لي أخرج فانظر من بالباب؟ فخرجت فإذا امرأة

قال قالت لي: استاذن لي على أبي عبدالله، يعني أباه،

قال فاستأذنه، فقال أدخلها،

قال: فدخلت فجلست فسلمت عليه.

وقالت له: يا أبا عبد الله أنا امرأة أغزل بالليل في السراج، فربما طفئ السراج فأغزل في القمر، فعلي أن أبين غزل القمر من غزل السراج.

قال فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك.

قال: قالت يا أبا عبدالله أنين المريض شكوى؟

قال: أرجو أن لا يكون شكوى، ولكنه اشتكاء إلى الله.

قال فودعته وخرجت.

قال فقال: يا بني ما سمعت إنسانا قط سأل مثل هذا، اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟ قال فاتبعها فإذا قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث، وإذا هي أخته.

قال فرجعت فقلت له. فقال: محال أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: جاءت مخة أخت بشر بن الحارث إلى أبي، فقالت له إني امرأة رأس مالي دانقين، أشتري القطن فأردنه فأبيعه بنصف درهم، فأتقوّت بدانق من الجمعة إلى الجمعة، فمر ابن طاهر الطائف ومعه مشعل فوقف يكلم أصحاب المصالح، فاستغنمت ضوء المشعل فغزلت طاقات، ثم غاب عني المشعل فعلمت أن لله فيَّ مطالبة، فخلصني خلصك الله.

فقال لها: تُخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منهما.

فقلت لأبي: يا أبة لو قلت لها لو أخرجت الغزل الذي أدركت فيه الطاقات.

فقال: يابني سؤالها لا يحتمل التأويل.

ثم قال: من هذه؟

قلت: مخة أخت بشر بن الحارث.

فقال من ههنا أتيت.

وكان بشر بن الحارث يقول: تعلمت الورع من أختي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

ص٤٣٦-٤٣٧

تمت الفوائد بحمد الله



الفهرس

سلسلة قطاف الكتب

صدر من هذه السلسلة:

١- مختارات شعرية من ديوان أبي فراس الحمداني.

٢- فوائد منتقاة من كتاب أعلام مالقة لابن عسكر وابن خميس.

٣- فوائد منتقاة من سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (الأجزاء ٢٠-٢٣).

٤- فوائد منتقاة من كتاب الديباج المذهب لابن فرحون.

٥- فوائد منتقاة من كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (الجزء ١٤ من الكتاب).

هذا الكتيب

كتب التراجم مَعين فوائد لا يجفّ، تتنوع فوائدها بتنوع شخصيات المترجَم لهم، وبتنوع معارفهم وعلومهم، وبثقافة المصنِّف وإحاطته واطلاعه. ففيها الأخبار الرائقة والأشعار الفائقة والقصص الطريفة الشائقة، والتواريخ والأيام المشهورة.

وفي هذا الإصدار (٨٩) فائدة منتقاة من الجزء الأخير (١٤) من كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

وقد تنوعت الفوائد المنتقاة في مواضيعها، ما بين شعر جزيل، وقول جميل، وقصة معبّرة، وحكمة سائرة.

لعلّ فيها ما يفيد القراء الكرام.

نضيء الفكرة

@daradahriah

dar adahriah

www.daradahriah.com

daradahriah@gmail.com